

"وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"

ملاحح تربوية - رؤية مستقبلية



إعداد

د. عبدالرحمن سعيد الحازمي

١٤٤٧هـ - ٢٥-٢٠م

وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

ملاحح تربوية - رؤية مستقبلية

إعداد

د. عبد الرحمن سعيد الحازمي

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وعظمته وقدرته في ملكوته لا تُحصى ولا تُعد، بل إن كل ما في هذا الكون ينطق بتلك الحقيقة الكبرى، وصدق من قال:

وفي كل شيء له آية... تدل على أنه الواحد^(١)

فالسعيد الموفق من تأمل وأدرك هذه الآيات واستقرت في قلبه ووجدانه، وكانت دافعاً له على تحقيق العبودية لله تعالى والثبات على شرعه، وقد بثّ الله عز وجل آيات توحيده ودلائل ربوبيته في الآفاق والأنفس، لتكون شاهدة للعقول السليمة والفطر المستقيمة بأن الله هو الحق، وأن الإيمان به ليس مجرد ترانيم منمقة تقال، أو روايات تتلى، بل حقيقة راسخة في كل ما يُرى ويُدرك، قال تعالى: ﴿سُنُّرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي

(١) البيت من الشواهد المشهورة لأبي العتاهية. ينظر: ديوان أبي العتاهية (ص: ١٢٢).



أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٢﴾. ومن أعظم هذه الآيات: جنود الله في السماوات والأرض، التي لا يحصي عددها ولا يعلم كنهها إلا هو سبحانه، وهو القائل جل جلاله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ ﴿٣﴾، فهي مظهر من مظاهر قدرته، ومما وعد سبحانه أن يُرِيَهُ لعباده في الآفاق ليزدادوا يقينًا بأنه الحق.

وقد عزمْتُ - بعون الله وتوفيقه - على إعداد مؤلف يُسَلِّطُ الضوء على موضوع مهم للغاية، ورد ذكره في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهّرة، وهو: "جنود الله في السماوات والأرض"، مستندًا في عنوانه ومحاوره إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿٤﴾. وسيضمّ هذا الكتاب - بإذن الله تعالى - أربعة فصول رئيسة، هي:

الفصل الأول: أقوال المفسّرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

(٢) فصلت: ٥٣.

(٣) المدثر: ٣١.

(٤) الفتح: ٧.

الفصل الثاني: عرض عام لمعنى "جنود الله تعالى".

الفصل الثالث: أبرز الملامح التربوية المستنبطة من الآية الكريمة.

الفصل الرابع: رؤية مستقبلية تستشرف أبعاد الموضوع على الفرد

والمجتمع.

وانطلاقاً من توجيه النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ"^(٥)، أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأخي الكريم الأستاذ عبد الحكيم هاشم - جزاه الله خيراً - على إشادته بموضوع الكتاب، ومبادرته في نشره لتعمّ فائدته، سائلاً المولى عزّ وجل أن يبارك في هذا الجهد المتواضع، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

(٥) الألباني، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، باب من لم يشكر للناس، رقم: ١٦٠.



الفصل الأول:

أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

قال الطبري رحمه الله: "يقول جل ثناؤه: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أنصاراً على أعدائه، إن أمرهم بإهلاكهم أهل كوثهم، وسارعوا إلى ذلك بالطاعة منهم له ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يزل الله ذا عزة، لا يغلبه غالب، ولا يمتنع عليه مما أراد به ممتنع، لعظم سلطانه وقدرته، حكيم في تدبيره خلقه" (٦).

وقال السعدي رحمه الله: "الإخبار بأن له ملك السماوات والأرض وما فيهما من الجنود، ليعلم العباد أنه تعالى هو المعز المذل، وأنه سينصر جنوده المنسوبة إليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَلْبُونَ﴾ (٧)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: قوياً غالباً، قاهراً لكل شيء، ومع عزته

(٦) تفسير الطبري (٩ / ٤٠٨).

(٧) الصافات: ١٧٣.

الفصل الأول: أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٧ وقوته فهو حكيم في خلقه وتدييره، يجري على ما تقتضيه حكمته وإتقانه" (٨).

وقال محمد سيد طنطاوي رحمه الله: "بين سبحانه شمول ملكه وقدرته فقال: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، أي: والله تعالى وحده جنود السموات والأرض من ملائكة وجن وإنس، إذ الكل تحت قهره وسلطانه، فهو سبحانه الذي يدبر أمرهم كيف شاء، ويدفع بعضهم ببعض كما تقتضي حكمته وإرادته، وهو تعالى العليم بكل شيء، الحكيم في جميع أفعاله" (٩).

(٨) تفسير السعدي (ص: ٧٩٢).

(٩) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٣ / ٢٦٢).



الفصل الثاني:

عرض عام لمعنى "جنود الله تعالى"

يُعنى هذا الفصل ببيان معنى "جنود الله تعالى" من حيث اللغة والاصطلاح، ويتناول عددًا من الأسئلة المحورية، منها: هل الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى جنود ينصرونه أو يدافعون عنه؟ ومن هم جنوده جل جلاله؟ كما يستعرض الفصل أقوال العلماء في تعدد جنود الله وتنوعهم، مبينًا ما ورد في ذلك من أدلة شرعية ونقول موثوقة.

أولاً: إن كلمة "جنود" هي جمع "جند"، وقد بيّن ابن منظور أن "الجند" معروف، ويُطلق على الأعوان والأنصار، كما يُطلق على العسكر^(١٠)، وفي التفسير الوسيط للقرآن الكريم، جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(١١): "الجنود: جمع "جند" وقد اشتهر استعماله في العسكر، اعتبارًا بالغلظة، وذلك مأخوذ من أصل الكلمة المرتبطة بـ"الجند" بمعنى الأرض الغليظة التي تكثر فيها الحجارة، ويقال لكل

(١٠) لسان العرب، فصل الجيم، ج ٣، ص ١٣٢.

(١١) المدثر: ٣١.

الفصل الثاني: عرض عام لمعنى "جنود الله تعالى"

جمع: "جند"، أي: وما يعلم جموع خلقه التي من جعلتها الملائكة إلا هو عز وجل" (١٢).

ثانياً: قد يرد في الذهن سؤال ابتداءً: وهو: هل الله عز وجل محتاج إلى جنود يدافعون عنه أو ينصرونه؟ ونتقل بالسؤال إلى ابن عثيمين رحمه الله لِيُثَبِّحْنَا بِالْإِجَابَةِ عَلَيْهِ بِكُلِّ وَضُوحٍ، فيقول: "الجواب: لا، ولا يمكن أن يكون محتاجاً، لكن سُمُّوا جُنُوداً مع أنه لا حاجة به إليهم؛ لأنهم يقومون بأمره، ويدافعون عن أوليائه، فهم بمنزلة الجنود، وإلا فالله عز وجل لا يحتاج إليهم ولا إلى غيرهم، فإنه غني عن كل أحد" (١٣).

ثالثاً: تأتي في نفس سورة الفتح، وقبل الآية محل المقال في الترتيب، آيةٌ أخرى تُضْمُ الشطر نفسه الذي ورد في الآية موضوع المقال، والآية هي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١٤)، ويُلاحظ أن الآيتين تتطابقان في قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ

(١٢) إشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ج ١٠، ص ١٦٦٧.

(١٣) تفسير العثيمين، سورة الأحزاب، ص ٩٨.

(١٤) الفتح: ٤.



وَأَلْأَرْضِ ﴿١٠﴾، وُحُتْمَتِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِأَحَدِ أَسْمَائِهِ الْحَسَنَى الْمُتَضَمِّنَةَ لِمَعْنَى الْحِكْمَةِ، بِمَا يَلَائِمُ سِيَاقَ كُلِّ آيَةٍ: فَفِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ إِنْزَالِ السَّكِينَةِ وَزِيَادَةِ الْإِيمَانِ، حُتْمَتِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، وَهِيَ مُنَاسِبَةٌ لِلسِّيَاقِ الَّذِي يَتَطَلَّبُ عِلْمًا دَقِيقًا بِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَقُلُوبِهِمْ، وَحِكْمَةً فِي إِنْزَالِ السَّكِينَةِ عَلَيْهِمْ وَتَرْبِيَتِهِمْ إِيْمَانِيًّا، أَمَا الْآيَةُ الَّتِي هِيَ مَوْضِعُ الْمَقَالِ، فَقَدْ حُتْمَتِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، وَهُوَ خَتَامٌ يَنْتَاسِبُ مَعَ سِيَاقِ النَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ، إِذْ يَتَجَلَّى فِيهِ وَصْفُ الْعِزَّةِ، وَهِيَ الْقُوَّةُ الْغَالِبَةُ الَّتِي لَا تُقَهَّرُ، الْمُقْتَرَنَةُ بِالْحِكْمَةِ الَّتِي تُوجِّهُ هَذِهِ الْقُوَّةَ نَحْوَ مَا تَقْتَضِيهِ الْمَشِيئَةُ الْإِلَهِيَّةُ الْحَكِيمَةُ، وَتَكَرَّرَ ذِكْرُ "جُنُودِ اللَّهِ" فِي الْمَوْضِعِينَ تَأَكِيدُ عَلَى شُمُولِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى، وَأَنَّ جُنُودَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَمِيعًا تَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَتَدْبِيرِهِ، يُسَخِّرُهُمْ كَيْفَ يَشَاءُ، نَصْرَةً لِعِبَادِهِ، وَتَحْقِيقًا لِمُرَادِهِ، وَذَلِكَ مِنْ بَدِيعِ النَّسْقِ الْقُرْآنِيِّ الَّذِي يِرَاعِي دَقَّةَ الْمَقَامِ وَحِكْمَةَ الْإِنْتِقَالِ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ بِمَا يَنْسَبُ السِّيَاقِ.

رابعاً: تنوّعت أقوال المفسرين في بيان معنى "جنود الله" تعالى، بين من

قصره على الملائكة والإنس والجن، ومن وسّع دلالاته لتشمل جميع

المخلوقات، فقد أشار ابن الجوزي رحمه الله إلى أن لفظ "الجنود" في القرآن الكريم جاء على خمسة أوجه، وهي:

أحدها: الملائكة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(١٥)، أراد الملائكة على الإطلاق، وقيل: زبانية النار خاصة.

الثاني: الرسل والمؤمنون؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغُلَبُونَ﴾^(١٦).

الثالث: الذرية؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾^(١٧)، أراد ذريته وهم الشياطين.

الرابع: الجموع؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾^(١٨)، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمُنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَطِيئِينَ﴾^(١٩)، وفي البروج: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾^(٢٠).

(١٥) المدثر: ٣١.

(١٦) الصافات: ١٧٣.

(١٧) الشعراء: ٩٥.

(١٨) النمل: ٣٧.

(١٩) القصص: ٨.



الخامس: الناصرون؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾^(٢١)، أراد ناصراً وقيل أمراً^(٢٢)، وفي ذات السياق، قدّم الرازي رحمه الله في تفسيره توسعاً في دلالة "جنود الله"، فذكر ثلاثة أوجه رئيسة:

أحدها: ملائكة السموات والأرض.

ثانيها: من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من الحيوانات والجن.

وثالثها: الأسباب السماوية والأرضية، حتى يكون سقوط كسف من السماء والخسف من جنوده^(٢٣).

خامساً: إن جنود الله تعالى لا يُحصي عددها ولا يحيط بتنوعها أحد من خلقه، إذ لا يعلمها على وجه التمام إلا الله وحده، كما جاء في قوله

(٢٠) البروج: ١٧.

(٢١) مريم: ٧٥.

(٢٢) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص ٢٣٣.

(٢٣) مفاتيح الغيب، سورة الفتح: الآية ٤.

١٣

الفصل الثاني: عرض عام لمعنى "جنود الله تعالى"

تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢٤)، ورغم أن الآية وردت في سياق الحديث عن الملائكة، فقد أشار عدد من المفسرين إلى عمومها، وأن المراد بها جميع جنود الله من مخلوقاته، فقال الشوكاني رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "أي: ما يعلم عدد خلقه ومقدار جموعه من الملائكة وغيرهم إلا هو وحده لا يقدر على علم ذلك أحد"^(٢٥). ويؤيد هذا المعنى ما ذكره الجزائري رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢٦)، "أي: ملائكة السماء وملائكة الأرض وكل ذي شوكة وقوة من الكائنات هو الله كغيره ويسخره كما شاء ومتى شاء"^(٢٧).

سادساً: يشهد لتعدد جنود الله تعالى وتنوعهم ما قصّه القرآن الكريم

عن تسخير الله سبحانه وتعالى لنبيه سليمان عليه السلام، من قوى عظيمة وأجناد متنوعة، فقد سخر الله له الريح، كما قال سبحانه: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾^(٢٨). وجمع له من الجنود ما لا يطيق البشر

(٢٤) المدثر: ٣١.

(٢٥) فتح القدير للشوكاني (٥ / ٣٩٧).

(٢٦) الفتح: ٤.

(٢٧) أيسر التفاسير للجزائري (٥ / ٩٥).

(٢٨) الأنبياء: ٨١.



جمعه، من الجن والإنس والطير، يسرون معه في مواكب مهيبة منظمة، كما قال تعالى: ﴿وَحَشِيرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(٢٩). وقد علّق السعدي رحمه الله على هذا المشهد بقوله: "وكل هذه الجنود مؤتمرة بأمره لا تقدر على عصيانه ولا تتمرد عنه، قال تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣٠)، أي: أعط بغير حساب"^(٣١). فإذا كان هذا ما سُخِّرَ لنبي من أنبياء الله، فكيف بجنود الله سبحانه وتعالى!! وهو الذي له ملك السماوات والأرض، يدبر الأمر كيف يشاء، ويأمر من جنوده من يشاء بما يشاء، وهو على كل شيء قدير، جل جلاله وتقدّست أسماؤه.

سابعاً: من دلائل عظمة جنود الله تعالى وتنوعهم، تسخير سبحانه لبعض مخلوقاته لإهلاك الجبابرة والطغاة، ممن تجاوزوا الحد في البغي والعدوان، ومن ذلك ما ورد في القرآن الكريم من شواهد عظيمة، منها:

(٢٩) النمل: ١٧.

(٣٠) ص: ٣٩.

(٣١) تفسير السعدي (ص: ٦٠٢).

الفصل الثاني: عرض عام لمعنى "جنود الله تعالى" ١٥

الأول: حينما عزم أبرهة وجيشه على هدم الكعبة المشرفة، أهلكتهم الله بواسطة خارجة عن التقدير البشري، فقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾^(٣٢)، وقد علّق محمد سيد طنطاوي رحمه الله على هذه الآية بقوله: "لقد جعل الله تعالى كيد هؤلاء المعتدين في تضييع وتخسير، بأن أرسل إليهم جماعات عظيمة من الطير، أتتهم من كل جانب في تتابع، فكانت سبباً في إهلاكهم والقضاء عليهم"^(٣٣). ثم ختم بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، في دلالة على أن جنود الله لا تُحد ولا تُحصى.

الثاني: عاقب الله تعالى قوم عاد، الذين استكبروا وكذبوا، بإرسال ريح شديدة مهلكة، فقال سبحانه: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾^(٣٤)، قال البغوي رحمه الله: "أي: وفي إهلاك عاد أيضاً آية ﴿إِذْ

(٣٢) الفيل: ٣-٤.

(٣٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥ / ٥١١).

(٣٤) الذاريات: ٤١.



أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣٥﴾، وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجراً ولا تحمل مطراً^(٣٥).

الثالث: عندما طغى فرعون وتجبر، أرسل الله تعالى عليه وعلى قومه أنواعاً من العذاب، فقال سبحانه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾^(٣٦)، فكل واحدة من هذه الآيات كانت جنداً من جنود الله، سلطها عليهم بحسب حكمته وعدله.

الرابع: من أعظم مشاهد تسخير جند الله، ما كان من هلاك فرعون وجنوده في البحر، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾^(٣٧). قال الشعراوي رحمه الله تعليقا على هذه الآية: "أي: نهايتهم، وقد جاءت عجيبة من عجائب الزمن وآية من آيات الله، فالبحر والماء جُند من جنود الله، تنصر الحق وتهزم الباطل، وقد ذكرنا

(٣٥) تفسر البغوي (٧ / ٣٧٨).

(٣٦) الأعراف: ١٣٣.

(٣٧) القصص: ٤٠.

كيف أنجى الله موسى عليه السلام وأهلك فرعون بالشيء الواحد حين أمر الله موسى أن يضرب بعصاه البحر، فصار كل فِرْق كالطَّود العظيم" (٣٨).

ثامناً: جاء في السنة النبوية ما يدل بوضوح على كثرة جنود الله تعالى وتنوعهم، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "الأرواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ" (٣٩). وقد بيّن ابن باز رحمه الله معنى الحديث بقوله: "أي: أنها جنودٌ مؤلَّفةٌ، مُصنَّفةٌ، مُقسَّمةٌ على حسب عقائدها، وأخلاقها، وما تهواه، وما ترمي إليه، فما تعارف منها على شيءٍ ائتلف: أهل الإيمان على إيمانهم وتقواهم، وأهل الشر على شرِّهم وفسقهم" (٤٠)، ووضح عبد المحسن العباد معنى "جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ"، "أي: أنها جند من جنود الله الكثيرة التي خلقها الله تعالى وأوجدتها" (٤١).

تاسعاً: من الشواهد الأخرى في السنة الشريفة على تسخير الله لبعض مخلوقاته لنصرة أنبيائه، ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن نصر الله تعالى

(٣٨) تفسير الشعراوي (١٨ / ١٠٩٣٠).

(٣٩) صحيح البخاري، باب: الأرواح جنود مجنّدة، حديث رقم: ٣١٥٨.

(٤٠) شرح صحيح البخاري، موقع الإمام ابن باز رحمه الله.

(٤١) شرح سنن أبي داود، المكتبة الشاملة، ١٤٣٢هـ.



له وتدييره له في ميدان المعركة، فقال: "نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالذَّبُورِ"^(٤٢). وفي هذا الحديث إشارة واضحة إلى أن الرياح من جنود الله، يسخرها كيف يشاء؛ فيجعل منها رحمةً ونصرةً لعباده المؤمنين، ويجعل منها عذاباً وهلاكاً لمن كفر وطغى، كلٌّ بحسب إرادته وحكمته.

(٤٢) صحيح البخاري، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا، حديث رقم:

الفصل الثالث

أبرز الملامح التربوية المستنبطة من الآية الكريمة:

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

تحمل الآية الكريمة في طياتها دلالات تربوية وإيمانية عميقة، تُعزّز في النفس معاني التوحيد والخضوع لعظمة الله عز وجل، والثقة واليقين في تدبير الله وحكمته في شؤون عباده، وفي هذا الفصل، نسلط الضوء على أبرز هذه الملامح التربوية.

أولاً: تُرَسِّخ الآية الكريمة موضوع المقال أصلاً عظيمًا من أصول الإيمان، وهو توحيد الربوبية، وذلك بإثبات أن الله تعالى وحده هو المالك الحقيقي لكل ما في السماوات والأرض، المتصرّف فيهما بلا منازع، وأن له وحده القدرة المطلقة التي لا تحدها حدود، ولا يعجزها شيء، صغر أو كبير، فكل ما في الكون من أعظم المخلوقات إلى أدقها هو من ملك الله وسلطانه، خاضع لأمره، منفذ لمشيئته، لا يخرج عن تدبيره شيء، كما قال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ



الفصل الثالث: أبرز الملامح التربوية المستنبطة من الآية الكريمة ٢٠

قَدِيرٌ ﴿١﴾، قال القاسمي رحمه الله: "أنه المالك لا غيره، فلا شريك له، **وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**؛ أي: مبالغ في القدرة، فالجميع ملكه وتحت قهره، وقدرته، ومشيعته، فلا نظير له ولا وزير، لا إله غيره ولا رب سواه" ﴿٢﴾.

سواه" ﴿٢﴾.

ثانياً: تَبَعْتُ الآية الكريمة محلّ المقال في النفس الطمأنينة والرضا بقضاء الله تعالى، خاصة في أوقات الشدة والابتلاء، وتُغرس من خلالها الثقة بنصر الله وتدييره، إذ إن النصر والهزيمة لا يتوقفان على كثرة العدد أو قوة العدة، بل هما بمشيئة الله وحده، وتقديره الذي لا يُغالب، وقد بيّن الله تعالى هذه الحقيقة في قوله: **﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾** ﴿٣﴾. وعلق ابن كثير رحمه الله على الآية بقوله: "يُبين تعالى تعالى أنه خالق أفعال العباد، وأنه المحمود على جميع ما صدر عنهم من خير؛ لأنه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم؛ ولهذا قال: **﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾** أي: ليس ببولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم مع كثرة عددهم وقلة

(١) المائة: ١٢٠.

(٢) تفسير القاسمي (٤ / ٣٠٥).

(٣) الأنفال: ١٧.

يجمعان بين كمال القدرة والغلبة، وكمال الحكمة والتدبير، فلا يكون شيء في هذا الكون إلا بقوته القاهرة وحكمته البالغة، فـ"العزیز"، وأصله من العز، قال ابن الجوزي رحمه الله: "العزّ في كلام العرب على ثلاثة أوجه: أحدها: بمعنى الغلبة، والثاني: بمعنى الشدة والقوة، والثالث: أن يكون بمعنى نفاسة القدر، ويتأول معنى العزیز على أنه الذي لا يعادله شيء، ولا مثل له"^(١). أما "الحكيم"، قال السعدي رحمه الله: "هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، فلا يخلق شيئاً عبثاً، ولا يشرع شيئاً سدى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباد، في شرعه، وفي قدره وجزائه"^(٢).

رابعاً: إن الجمع بين العزة والحكمة في ختام الآية له أثر تربوي عميق؛ إذ يُعلّم المسلم أن ما يقع في الكون من نصر أو هزيمة، رخاء أو شدة، هداية أو ضلال، فهو واقع بقدرة العزیز وبحكمة الحكيم، مما يورث القلب طمأنينة وثقة بأن الله لا يُسلّط الظالم، ولا يُؤخر النصر، ولا يُقدّر الابتلاء إلاّ

(١) زاد المسير في علم التفسير، سورة البقرة: الآية ١٢٩.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة، العدد: ١١٢، ١٤٢١هـ.

الفصل الثالث: أبرز الملامح التربوية المستنبطة من الآية الكريمة ٢٣

لحكمة، قد يُدركها العبد، وقد لا يُدركها، وعلى أية حال فإن الإيمان بهذين الاسمين العظيمين يُربي المسلم على التسليم لحكم الله تعالى، والرضا بتقديره، والثقة بموعوده، كما يُعلّمه ألا يغتر بقوة ظاهرة ولا ييأس من ضعفٍ ظاهر، فالنصر ليس حكرًا على الأسباب المادية، بل هو بيد الله العزيز الحكيم، يُعطيه من يشاء، ويمنعه عن من يشاء، بحكمة يعلمها سبحانه.



الفصل الرابع:

رؤية مستقبلية تستشرف أبعاد الموضوع على الفرد والمجتمع

يمتلك الإسلام من المقومات الدينية، والمنهجية، والعلمية، والحضارية، والأخلاقية ما يؤهله ليكون رسالة خالدة تهدف إلى إسعاد البشرية جمعاء، وبسط قيم الخير، والرحمة، والعدل، والإحسان في أرجاء المعمورة، وقد أشار القرآن الكريم إلى عالمية هذه الرسالة بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١). وفسر ذلك ابن كثير رحمه الله بقوله: "يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، أَي: أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لَهُمْ كُلَّهُمْ، فَمِنْ قَبْلِ هَذِهِ الرَّحْمَةِ وَشَكَرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ، سَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ رَدَّهَا وَجَحَدَهَا خَسِرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"^(٢). ومع ما يحمله الإسلام من هذا النور الرباني، إلا أنّ الواقع المعاصر يشهد تراجعاً في حال المسلمين، ولعل لهذا التراجع أسباباً عديدة، تناولها العلماء والباحثون في مؤلفات متخصصة، ورغم هذا التراجع، فإن هناك جهوداً مشكورة تُبذل من أفراد ودول ومؤسسات لتصحيح المفاهيم المشوهة عن الإسلام، ونشر

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٥ / ٣٣٨).

الفصل الرابع: رؤية مستقبلية تستشرف أبعاد الموضوع على الفرد والمجتمع ٢٥
تعاليمه السمحة، وتمثّل أخلاقه قولاً وعملاً، وفي هذا الفصل، نسلط الضوء
بعون الله تعالى على رؤية مستقبلية تنطلق من هذا المفهوم القرآني العميق،
وتستشرف سُبُل النهوض على مستوى الفرد والمجتمع، وذلك من خلال
محورين رئيسيين:



المبحث الأول:

التأصيل الشرعي والفكري للرؤية المستقبلية

أولاً: لقد ميّز الله تعالى أمة محمد صلى الله عليهم وسلم، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، كما قال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣)، وقد فسّر السعدي رحمه الله هذه الآية بقوله: "يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنّها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغييهم وعصيانهم، فهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس"^(٤). وفي السياق ذاته يقول محمد سيد طنطاوي رحمه الله: "المعنى: وجدتم يا معشر المسلمين العاملين بتعاليم الإسلام وآدابه وسنته وشريعته خير أمة أخرجت وأظهرت للناس، من أجل إعلاء كلمة الحق وإزهاق كلمة

(٣) آل عمران: ١١٠.

(٤) تفسير السعدي (ص: ١٤٣).

المبحث الأول: التأصيل الشرعي والفكري للرؤية المستقبلية ٢٧

الباطل، ونشر الإصلاح والنفع في الأرض"^(٥). ومن خلال ذلك يتبين أن خيرية الأمة مرتبطة بعملها وتحقيقها لمقومات هذه الخيرية: من الإيمان بالله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ثانياً: إن الآية الكريمة محل المقال تُظهر عظمة مُلك الله تعالى، وقدرته الباهرة في تسخير جنوده ومخلوقاته لتنفيذ ما يشاء على عباده، بعلم تام، وحكمة بالغة، وقد تضمنت الآية أيضاً الإشارة إلى اسم الله تعالى "العزیز"، وهو الاسم العظيم الذي يدل على القوة الكاملة، والعزة المطلقة، والغنى التام، الذي لا يُغلب ولا يُقهر، ولا يُفتقر إلى أحد، بل هو القاهر فوق عباده، يُعز من يشاء، ويُذل من يشاء، ولا رادّ لأمره، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ومن أراد العزة والنصر والتمكين، فعليه أن يلجأ إلى الله العزيز الحكيم، الذي بيده مقاليد الأمور، وهو القائل سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ نُوتِي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦)، كما أكد القرآن الكريم هذا المعنى في مواضع أخرى، منها: قوله تعالى: ﴿وَمَا

(٥) التفسير الوسيط لطنطاوي (٢/ ٢١٣).

(٦) آل عمران: ٢٦.



أَلَنْصَرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٧﴾، وقوله سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (٨)، وقوله جل جلاله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩)، وقد جسّد الصحابة رضوان الله عليهم هذا الفهم في حياتهم وسلوكهم، وقد جاء تعبير عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذا المبدأ بمقولته الخالدة: "إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فلن نلتمس العز بغيره" (١٠).

ثالثاً: إنّ النصر والعزّة في ميزان القرآن الكريم مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالإيمان بالله تعالى، صدقاً وعملاً، وقد تكرر هذا المعنى في آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١)، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

(٧) آل عمران: ١٢٦.

(٨) فاطر: ١٠.

(٩) المنافقون: ٨.

(١٠) ابن أبي شيبة، المصنف، فصل: في توجيه عمر إلى الشام، تحقيق: سعد بن ناصر الشثري،

رقم: ٣٦١١٤.

(١١) الروم: ٤٧.

المبحث الأول: التأصيل الشرعي والفكري للرؤية المستقبلية ٢٩

الْأَشْهُدُ ﴿١٢﴾، وقد أكد هذا المعنى ابن عثيمين رحمه الله، مستدلاً بقوله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾** ﴿١٣﴾، فقال: "فمتى أراد الإنسان العزة فليكن مؤمناً، وكل ما كان أكثر إيماناً بالله وأقوى إيماناً بالله كان أكثر عزة وأقوى عزة" ﴿١٤﴾.

رابعاً: إنّ مقصود الإيمان عند أهل السنة والجماعة ليس مجرد قولٍ أو شعورٍ داخلي، بل هو عقيدة تنبض بالحياة، وسلوكٌ يظهر في الجوارح، وقد أوضح ابن عثيمين رحمه الله المقصود بالإيمان بقوله: "الإقرار بالقلب، والنطق باللسان، والعمل بالجوارح" ﴿١٥﴾، فإذا استقرّ هذا المعنى العظيم للإيمان في نفوس المسلمين، ترسّخت فيهم حقيقة الارتباط بين نُصرة دين الله تعالى، ونبيل النصر والتمكين في الأرض، كما في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾** ﴿١٦﴾. وقد فسّر ابن كثير رحمه

(١٢) غافر: ٥١.

(١٣) المنافقون: ٨.

(١٤) تفسير العثيمين، سورة فاطر، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ص ٨١.

(١٥) ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، ص ٤٩.

(١٦) محمد: ٧.



الله هذه الآية بقوله: "كقوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾^(١٧)، فإن الجزء من جنس العمل، ولهذا قال: ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١٨). ويضيف السعدي رحمه الله تأكيداً لهذا المعنى، فيقول: "فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، ويسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره"^(١٩).

خامساً: من أصدق الوعود الربانية التي لا شك فيها، وعدُّ الله تعالى

بالاستخلاف والتمكين لعباده المؤمنين الصادقين، كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾^(٢٠). وهذا الوعد الإلهي مشروط بالإيمان والعمل الصالح، كما نصّت الآية، وقد علّق السعدي رحمه الله على هذه الآية بقوله: "هذا من أوعاده الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض،

(١٧) الحج: ٤٠.

(١٨) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨٧).

(١٩) تفسير السعدي (ص: ٧٨٥).

(٢٠) النور: ٥٥.

المبحث الأول: التأصيل الشرعي والفكري للرؤية المستقبلية ٣١
 يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تديرها، وأنه يمكن لهم دينهم الذي
 ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها^(٢١).

سادساً: يبقى سؤال جوهرى لا بد من طرحه: ما الوسائل التي يمكن
 بها تحقيق الرؤية المستقبلية؟ ولا شك أن هذا سؤال كبير، وتحتاج الإجابة
 عنه إلى جهود جماعية، تُبذل فيها الدراسات، وتُعدّد لأجله المؤتمرات
 والندوات واللقاءات، ويُجمع له العلماء والمفكرون والخبراء في شتى المجالات،
 ممن جمعوا بين العلم الراسخ، والفكر العميق، والرؤية الحكيمة؛ وذلك لوضع
 الأسس والمنطلقات العملية لاستعادة عزة الإسلام ومكانته، غير أن من
 الإضاءات البارزة في هذا السياق ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله، حيث بيّن
 المنطلق الجوهرى لاكتساب العزة، فقال: "بحسب متابعة الرسول تكون العزة
 والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعتة تكون الهداية والفلاح والنجاة،
 فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعتة، وجعل شقاوة الدارين في مخالفتة،
 فلا تُباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد

(٢١) تفسير السعدي (ص: ٥٧٣).



وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة" (٢٢).

سابعاً: من الخطوات العملية الأساسية لتحقيق الرؤية المستقبلية بعون

الله وتوفيقه، ما يلي:

الأولى: الاعتصام بدين الله تعالى، وذلك امتثالاً لقوله تعالى:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (٢٣). قال الطبري رحمه الله

في تفسير هذه الآية: "تمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله" (٢٤).

الثانية: الحذر من التفرق والنزاع، ولذا جاء التحذير الرباني صريحاً

بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فِتْفَشُلُوا وَتَدَّهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ﴾ (٢٥). قال محمد السبيل رحمه الله معنى ذلك: "ولا تنازعوا

(٢٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ص ٣٩.

(٢٣) آل عمران: ١٠٣.

(٢٤) تفسير الطبري (٧/ ٧٠).

(٢٥) الأنفال: ٤٦.

المبحث الأول: التأصيل الشرعي والفكري للرؤية المستقبلية ٣٣

وتختصموا وتختلفوا، فإن ذلك يؤدي بكم إلى الفشل، أي الضعف، وإلى ذهاب دولتكم، وهوان كلمتكم، وظهور عدوكم عليكم، واصبروا على شدائد الحرب، وعلى مخالفة أهوائكم التي تحملكم على التنازع، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بتأييده ومعونته ونصره^(٢٦).

الثالثة: التعاون على البر والتقوى، كما أمر الله عز وجل بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعَدْوٰنِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢٧). قال القرطبي رحمه الله في تفسير ذلك: "وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى، أي ليعن بعضكم بعضا، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به، وانتهوا عما نهى الله عنه وامتنعوا منه".

الرابعة: التواد والتراحم والتعاطف بين المؤمنين، امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى" ^(٢٨).

(٢٦) تفسير سورة الأنفال، الموقع الرسمي للشيخ محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله.

(٢٧) المائة: ٢.

(٢٨) صحيح مسلم، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم: ٢٥٨٦.



قال النووي رحمه الله: "هذا الحديث وأمثاله صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاقد في غير إثم ولا مكروه" (٢٩).

(٢٩) شرح النووي على مسلم، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم: ٢٥٨٦،

المبحث الثاني: أهمية العناية بإصلاح الأسرة المسلمة بكافة أفرادها ٣٥

المبحث الثاني:

أهمية العناية بإصلاح الأسرة المسلمة بكافة أفرادها

أولاً: تُعدّ الأسرة نواة صلاح المجتمع، وهي في المجتمع بمنزلة القلب من الجسد؛ فإذا صلح القلب صلح الجسد كله، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله، ولهذا نجد أن الإسلام، بمصدره الأساسيين: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، قد أولى الأسرة عنايةً كبيرة، وأحاطها بسياسات التشريعات السامية التي نظّمت الحقوق والواجبات، وهذّبت العلاقات الأسرية بجملة من التوجيهات والإرشادات، وقدمت لمشكلاتها الحلول والمعالجات، والغاية من ذلك كله هي: استقامة الأسرة وتزكيته، وتنمية جوانب الخير والصلاح فيها، بما يُسهم في بناء مجتمع متماسك، غير أن إصلاح الأسرة ليس بالأمر الهين، بل هو عملية شاقّة تحتاج إلى عناية فائقة على كافة الأصعدة، ومتابعة متجددة ومتواصلة لتقومها وتعديل مساراتها، بما ينسجم مع الهدى الرباني ويحقق الغاية من استخلاف الإنسان في الأرض.

ثانياً: تقع على الوالدين مسؤولية عظيمة في تربية أولادهما، فهم المنطلق الأساس في مسار التربية والرعاية، وبصلاحهما تستقيم الأسرة ويصلح



النشء، وقد نبّه القرآن الكريم إلى خطورة هذه المسؤولية وعِظَم شأنها، موجّهاً نداءً مباشراً للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٣٠)، وفي هذا توجيه بليغ إلى ضرورة أن يبدأ الإصلاح من داخل الأسرة، بحماية النفس والأهل من أسباب الهلاك، وتحسينهم بالتربية الإيمانية والأخلاقية، كما جاءت السنة النبوية مؤكدةً هذا المعنى، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا.. الحديث"^(٣١). وهذا الحديث يُرسي مبدأ المسؤولية الفردية في تربية النشء، ويُحمّل كل طرف في الأسرة أمانة ينبغي الوفاء بها، فالأسرة الواعية بدورها التربوي تخرّج أجيالاً صالحة، تكون لبناتٍ قوية في بناء المجتمع.

(٣٠) التحريم: ٦.

(٣١) صحيح البخاري، باب: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، رقم: ٤٨٩٢.

المبحث الثاني: أهمية العناية بإصلاح الأسرة المسلمة بكافة أفرادها ٣٧

ثالثاً: يمكن تحديد مسؤولية الوالدين في التربية لتشمل عدة مجالات جوهرية، أبرزها: ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة، وغرس القيم والمبادئ السامية، وتوفير الرعاية الجسدية والعاطفية، وتوجيه الأولاد نحو التعلم الصحيح والمنهج السليم في التفكير والسلوك، وقد جاء التوجيه النبوي مؤكداً لدور الوالدين في هذا المسار، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ"^(١). وفي هذا الحديث بيان واضح أن الطفل يولد مهياً للإيمان والتوحيد، غير أن البيئة المحيطة، وعلى رأسها الوالدان، لها التأثير الأكبر في تشكيل عقيدته وسلوكه. وقد نبه ابن القيم رحمه الله إلى خطورة إهمال الوالدين في تربية أولادهم، فقال: "فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينتفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا

(١) صحيح البخاري، باب: باب: ما قيل في أولاد المشركين، رقم: ١٣١٩، صحيح مسلم، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم:



أبت إنك عقتني صغيراً فعقتك كبيراً، وأضعني وليداً فأضعتك شيخاً^(١).

رابعاً: إن إهمال الوالدين لتربية أولادهما جناية كبرى وإثم عظيم، وقد اعتبره الإسلام من أشد صور الظلم وأقبحها، لما يترتب عليه من ضياع للأنفس، وتفكك في الأسر، وفساد في المجتمعات. وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من التفريط في رعاية من تحت اليد، فقال: "كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْسِبَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّةً"^(٢). وقد علّق ابن باز رحمه الله على هذا الحديث بقوله: "يعني: كافيته في الإثم أن يُضيع مَنْ تحت يده من أزواجٍ وأولادٍ، وخدمٍ أرقاء، يعني: أنه يحصل له إثم عظيم بذلك، فينبغي للمؤمن أن يلاحظ مَنْ تحت يده، وأن ينفق عليهم، ويحسن إليهم، حتى لا يصاب بأسبابهم"^(٣).

خامساً: إذا كان من أعظم الإثم أن يُهمل الوالد نفقة أولاده، مع قدرته على إعالتهم، فكيف بمن يُهمل ما هو أعظم من الطعام والشراب؟!

(١) تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق/ عبد القادر الأرنؤوط، ص ٢٢٩.
(٢) صحيح مسلم، باب: فضل النفقة على العيال، والمملوك وإثم من ضيعهم، أو حبس نفقتهم عنهم، رقم: ٩٩٦.
(٣) شرح رياض الصالحين، موقع الإمام ابن باز رحمه الله.

المبحث الثاني: أهمية العناية بإصلاح الأسرة المسلمة بكافة أفرادها ٣٩

أعني: تربيتهم على العقيدة الصافية، وغرس مكارم الأخلاق، والحرص على تعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم؛ لا شك أن هذا الإثم أعظم، وخطره على الفرد والمجتمع أشد، وهو في الحقيقة طامة تربوية كبرى. وفي هذا السياق، نبّه الدكتور محمد أحمد المقدم إلى خطأ قصر مفهوم الإهمال على الجوانب المادية فقط، فقال: "فمن القصور أن نتصور أن التضييع إنما يكون بالنفقة، لأن التضييع يكون بأمر هي أخطر من النفقة؛ سواء تركه مع صحبة سيئة، أو توفير أجهزة الفساد له بسهولة، أو سلوك مسالك مدمرة لنفسيته"^(١).

سادساً: هنا تنبيه مهم على أن التربية الحقة تشمل الرقابة، والتوجيه، والاحتواء، والقدوة الحسنة، وكل ما يُسهم في بناء شخصية متزنة متصلة بالله ومتصلة بالواقع، ويُعزز هذا المعنى ما رُوي عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: "الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين والعلم يحتاج إليه كل وقت"^(٢).

(١) محو الأمية التربوية، ص ١٣، ١٤٣٣ هـ.

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ص ٨١.



سابعاً: لما كانت قضية غرس العقيدة الإسلامية قضيةً محوريةً في حياة الفرد والأسرة والمجتمع، إذ تُبنى عليها قواعد الدين وأسس إصلاح الفرد والمجتمع، كان من الطبيعي أن تكون أعظم مهمة اضطلع بها الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، بل هي جوهر دعوتهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾^(١).

وغرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأولاد هي وصية العمر، ورسالة الآباء إلى الأولاد، وقد حكى القرآن الكريم وصية نبي الله إبراهيم ويعقوب عليهما السلام لأولادهما بما هو أعظم ما يُوصى به، فقال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢). ومثل ذلك أيضاً وصية لقمان الحكيم لابنه، والتي بدأها بتحذيره من أعظم الأخطار التي تهدد العقيدة، ألا وهو الشرك بالله، حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٣)، ومن هنا، فإن مسؤولية الوالدين في غرس العقيدة السليمة في قلوب أولادهم فريضة إيمانية، وإذا تأسس البيت على توحيد الله

(١) النحل: ٣٦.

(٢) البقرة: ١٣٢.

(٣) لقمان: ١٣.

المبحث الثاني: أهمية العناية بإصلاح الأسرة المسلمة بكافة أفرادها ٤١
تعالى، وتعظيمه، ومحبته، والخضوع لشرعه، نشأ الأولاد على الفطرة السليمة،
وأصبحوا سواعد بناء وخير وفلاح لدينهم ومجتمعهم.

ثامناً: لما كانت تربية الأولاد تربية إسلامية سليمة تمثل منطلقاً أساسياً
من منطلقات نهضة المجتمع المسلم وبناء حضارة متميزة على أساس متين من
الإيمان والقيم السامية، فقد شغل هذا الموضوع حيزاً كبيراً من اهتمام العلماء
والمربين والدعاة، وألفت فيه مؤلفات كثيرة تزخر بها المكتبة الإسلامية، وقد
وفقني الله تعالى -بعلمي المتواضع- إلى الإسهام في هذا الباب الجليل، من
خلال إعداد كتاب بعنوان: "الذرية في القرآن الكريم .. دراسة تأصيلية
لتربية الأولاد في الإسلام". وقد صدر عام (١٤٢٨ هـ)، وشُرِّفت بأن يقدم
له ثلاث شخصيات بارزة من أهل العلم والفكر:

الدكتور/ حسن بن علي الحجاجي رحمه الله.

الدكتور/ سعيد بن مسفر القحطاني حفظه الله.

الدكتور/ عويد بن عياد المطرفي رحمه الله.

وقد كانت فكرة الكتاب تدور حول دراسة آيات "الذرية" في القرآن
الكريم بمختلف اشتقاقاتها، والتي وردت (٣٢) مرة، في (٣٠) آية موزعة



المبحث الثاني: أهمية العناية بإصلاح الأسرة المسلمة بكافة أفرادها ٤٢

على تسع عشرة سورة. وبتوفيق الله تعالى، خلصت الدراسة إلى تأصيل منهجي لتربية الأولاد والناشئة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، وخرجت بجملة من التوجيهات التربوية بلغت (٨١) توجيهًا، تغطي مختلف جوانب التربية الإسلامية (العقدية، الأخلاقية، النفسية، الاجتماعية، التعليمية...). وهو متاح حاليًا على شبكة الألوكة على الرابط التالي: "الذرية في القرآن الكريم ومضامينها التربوية (PDF) <https://share.google/sZpN6rLtEF5IxcLq7>".

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تيسر الطاعات،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله
وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من أعظم النعم التي يُحمد الله تعالى عليها نعمة التوفيق، وهو
القائل سبحانه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(١)، وهو القائل سبحانه:
﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٢)، فله الحمد على أن وفقني لإتمام هذا المؤلف
الموسوم: "﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملامح تربوية - رؤية
مستقبلية"، الذي اشتمل بعون الله تعالى على أربعة فصول رئيسة:

الفصل الأول: أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

الفصل الثاني: عرض عام لمعنى "جنود الله تعالى".

الفصل الثالث: أبرز الملامح التربوية المستنبطة من الآية الكريمة.

(١) النحل: ٥٣.

(٢) هود: ٨٨.



الفصل الرابع: رؤية مستقبلية تستشرف أبعاد الموضوع على الفرد

والمجتمع، ويضم مبحثين:

المبحث الأول: التأصيل الشرعي والفكري للرؤية المستقبلية.

المبحث الثاني: أهمية العناية بإصلاح الأسرة المسلمة بكافة أفرادها.

وقد خلص المؤلف إلى جملة من النتائج المهمة، من أبرزها:

١. أن الله تعالى له ملك السماوات والأرض وما فيهما من المخلوقات سواء: الملائكة، الإنس، الجن، وغيرهم دون استثناء، فالكل تحت قهره وسلطانه، يدبر أمرهم كيف شاء بعلمه وحكمته سبحانه وتعالى.
٢. أن الله جل جلاله غني عن جنوده وغيرهم، فلا يحتاج إلى نُصرة أحد، وإنما سُموا "جنودًا" لأنهم يُنفذون أمره، ويدافعون عن دينه وأوليائه بإذنه.

٣. أن قدرة الله تعالى مطلقة، لا يعجزه شيء مهما عَظُم، فهو سبحانه يقول للشيء: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣)، فيتحقق بأمره في التَّوَّ واللحظة.

٤. أن جنود الله تعالى كثيرة ومتنوعة، قد دلت على تعددها نصوصٌ من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولا يُحيط بعددها أو حقيقتها أحد من خلقه، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٤).

أسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا الجهد المتواضع، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يرزقنا جميعًا العلم النافع والعمل الصالح، ودوام العافية في الدنيا والآخرة.
والحمد لله رب العالمين.

(٣) النحل: ٤٠.

(٤) المدثر: ٣١.



الفهرس

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| ٣ | تمهيد |
| ٦ | الفصل الأول: أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾. |
| ٨ | الفصل الثاني: عرض عام لمعنى "جنود الله تعالى". |
| ١٩ | الفصل الثالث: أبرز الملامح التربوية المستنبطة من الآية الكريمة. |
| ٢٤ | الفصل الرابع: رؤية مستقبلية تستشرف أبعاد الموضوع على الفرد والمجتمع. |
| ٢٦ | المبحث الأول: التأصيل الشرعي والفكري للرؤية المستقبلية |
| ٣٥ | المبحث الثاني: أهمية العناية بإصلاح الأسرة المسلمة بكافة أفرادها |
| ٤٣ | الخاتمة |